الكبرى التي تواجه الانسان المعاصر . اوربا نفسها ، بالنسبة الى اميركا ، اضحت وكأنها بدورها جزء من العالم الثالث . أعلى الغرب اعني الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي — وكلاهما غرب بالمعنى الحضاري — يبدو متفقا على أن يدمج العالم به او ان يسير العالم اليه انتاجا واستهلاكا وفلسفة معيشية . وفي هذا الافق يضيق الفرق بين نظام ونظام وقد باتت الحياة باعماقها الفلسفية واحدة ناهيك عن صور لها تتقارب . كان ، اذا ، تساؤلي كيف نعمل ليبقى بالاقل العالم الاسلامي عالما لله ليس فقط كما يتصور أحيانا بعض مفكريه او متأدبيه لمجرد تلاوته للقرآن او ادائه الصلاة والحج ولكن على صعيد الاعماق ، بروح وحق .

نحن في الدنيا الارثوذكسية بتنا جزءا من حضارة الغرب بعد أن حكمت الماركسية بلادنا الكبرى والماركسية ، في تصوري ، حدة الفكر الغربي . والذين يعودون الان الى أحضان الكنيسة في اوروبا الشرقية من الحاد وخبرة مريرة انما يعودون الى الانجيل وتراث الاباء في أبهى عبادة وينفصلون فكريا وثقافيا وعمليا عن المجتمع الشيوعي . والتساؤل الذي لا مفر منه هو هل تعني التقنية المتفاقمة في دنيا الاسلام اعراضا عن حياته الروحية كما حدث في المسيحية هذا وثمة امر ان المسلمين قادرون على احتواء التكنولوجيا وما يلازمها من فلسفة ومسلكية ولا سيما ان العلمنة التي يرفضها الاسلام جزء لا يتجزأ من الحياة التكنولوجية . من ينقذ الله في الاسلام ؟

مرت هذه الفكرة في خاطري وانا ارى التنظيم الاوربي يهيمن على المؤتمر وثقافة اوكسفورد وهارفرد تتخذ وجهها الاسلامي وتجلبب . بارك الله في المسلمين اذا نجحوا حيث اخفقنا .

في فترة بعد حرب تشرين فكرت ان عرب الجزيرة قد يحرقون آبار النفط انقاذا للقدس وانهم مستعدون للعودة الى بداوتهم . لا ازال بعد على هذا الشعور مع أن خوفا ورعدة قد أخذاني وانا أخشى أن نلاعب المال في أيدينا وان نستلذ صداقة الغرب الكبير وتصرعنا اهواؤنا . ولكن الانسان ، في صميم ارتعاده ، لا بد له ان يرجو لهذا العالم الاسلامي المذهل ما يرجوه لخير حبيب بعد ان سمعنا منه كلاما مقدسيا .

« نحن واياكم مقدسيون رجاء وعزما وبذلا » قالها البطريرك وكأنها شرعة بين المسلمين ومسيحيي الشرق جديدة تصوغ عهد عمر صياغة حديثة وفي الشرعة هذه يأتيك الامان من اخلاصك للقدس في مصيرها . صفرونيوس كان يتطلع الى حرية تأتي شعبه الى الابد من المسلمين ولم يطلب من عمر الا اجلاء اليهود عن القدس لانهم كانوا ، قبيل مجيء العرب ، قد ذبحوا عددا من المسيحيين . لجأ المسيحيون الوطنيون الى الفاتح العربي من اضطهاد . القدس ستكون المدينة التي ترمز الى الحرية الدينية واللاعنصرية . ما بعد القدس حرية العالم .

الوفد المسيحي في لاهور تخطى دفعة واحدة ما يسمى بمشكلة الاماكن المقدسة . هذه كانت مشكلة صليبية . « البشر لا الحجر هم الحضور » ذهبت تحولا — برنامجا . كل بحث الاماكن ، مبتورا عن المقادسة انفسهم ، حديث القرن التاسع عشر بما كان فيه من جو امتيازات للدول فيما كانت تنهش «الرجل المريض» . والاماكن قائمة وحدها ، انصاب والصهيونية تركز عليها لتفصلها عن البحث الشرعي في السكان ومآلهم . المهم